الأَبُ المُضَحِّي

الأَبُ المُضَحِّي

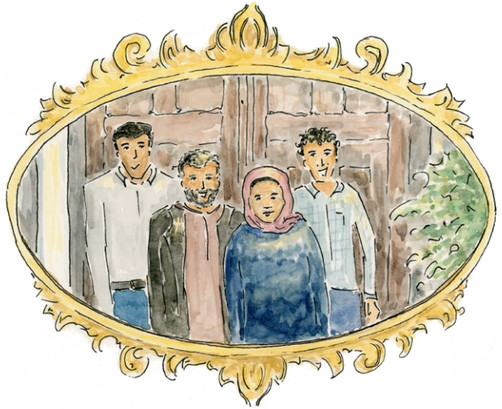

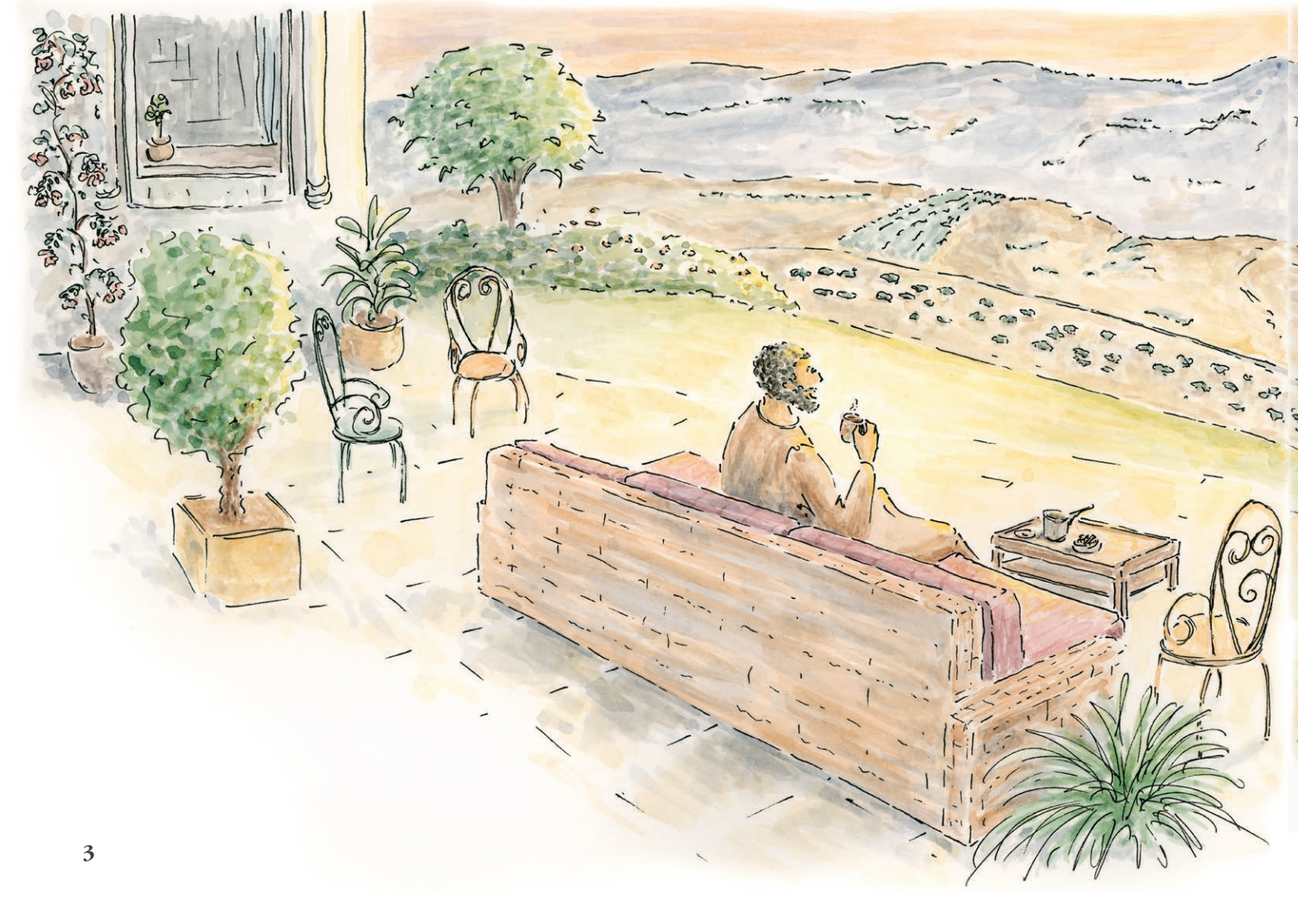

كان ذلك صباحًا عاديًا بالنسبة لأبي حسن، الذي اعتاد أن يبدأ يومه في الحديقة، مستمتعًا بفنجان من القهوة وهو يشاهد شروق الشمس. كان وقت الصباح الهادئ مهمًا جدًا له، لأن عمله المليء بالمسؤوليات لم يترك له وقتًا كافيًا ليختلي بنفسه خلال النهار.

كان أبو حسن كثيرًا ما يتأمل في هذا الوقت الهادئ كيف أن الله قد باركه بعمل ناجح، وزوجة رائعة، وابنين.

وكانت عائلته معروفة في القرية، ذات تأثير، وتحظى باحترام وتقدير كبيرين.

وبينما كان يرتشف قهوته مستغرقًا في هذه الأفكار، اقتحم لحظة تأمله صوتٌ غير متوقَّع:

«يا أبي! يا أبي! أين أنت؟»

تفاجأ أبو حسن بأن ابنه الأصغر قد قطع عليه وقت خلوته في الحديقة، فاستنتج أنه لا بد أن الأمر مهم فعلًا، فقال بلطف:

«أنا هنا يا بني، صباح الخير!»

قال الابن الأصغر:

«يا أبي، أعلم أننا لا يُفترض أن نقاطعك في هذا الوقت، لكن هناك أمر مهم يشغل تفكيري منذ مدة، ويجب أن أتحدث معك عنه الآن.»

فابتسم أبو حسن وقال:

«حسنًا يا بني، في هذه الحالة لا أمانع أن تقاطعني.»

ثم قال الابن بسرعة وبنبرة حاسمة:

«أعطني نصيبي من الممتلكات التي هي من ميراثي.»

صُدم أبو حسن، وتألم، ولم يعرف ماذا يقول. أخذ نفسًا عميقًا، ثم لبّى رغبة ابنه.

إن طلب الميراث في ذلك الوقت كان يعني أن الابن لا يتمنى حتى بقاء أبيه على قيد الحياة، وهذه الحقيقة آلمت أبا حسن ملايين المرات أكثر من المال الذي كان على وشك أن يخسره.

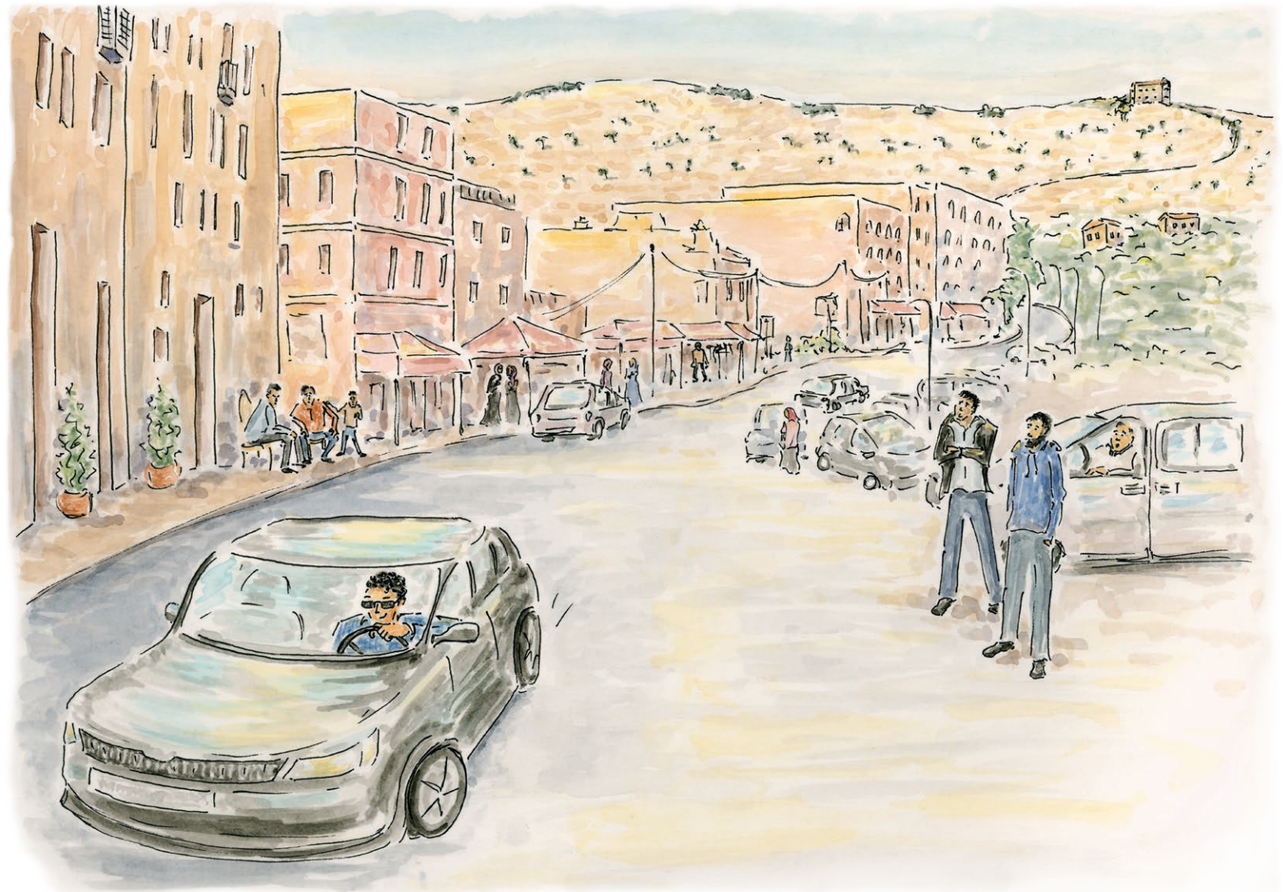

بعد مدة، جمع الابن كل المال الذي أعطاه له أبوه كميراث، وغادر البيت دون أن يخبر عائلته إلى أين هو ذاهب.

ولأنهم كانوا يعيشون في قرية صغيرة، انتشر الخبر سريعًا، وبدأ أهل القرية يتهامسون فيما بينهم بدهشة:

«لماذا باع أبو حسن ممتلكاته وسمح لابنه أن يرحل بنصيبه من الميراث؟»

«لماذا لم يعاقبه بشدة على هذا التصرف المُشين؟»

«لقد جلب الابن الأصغر عارًا كبيرًا على اسم العائلة، وأبو حسن لا يفعل شيئًا؟»

«إلى أي حد يكره ابنُ أبي حسن أباه حتى يتمنى موته؟»

كان أبو حسن يحزن بصمت على العار الذي يتحمله، وأكثر من ذلك على الابن الذي فقده.

يومًا بعد يوم، بينما كان الابن الأصغر يُبدِّد ميراثه باستهتار في بلد بعيد، بدأت سمعة العائلة تفقد مكانتها وتأثيرها، مما أثّر سلبًا على نجاح تجارة أبي حسن.

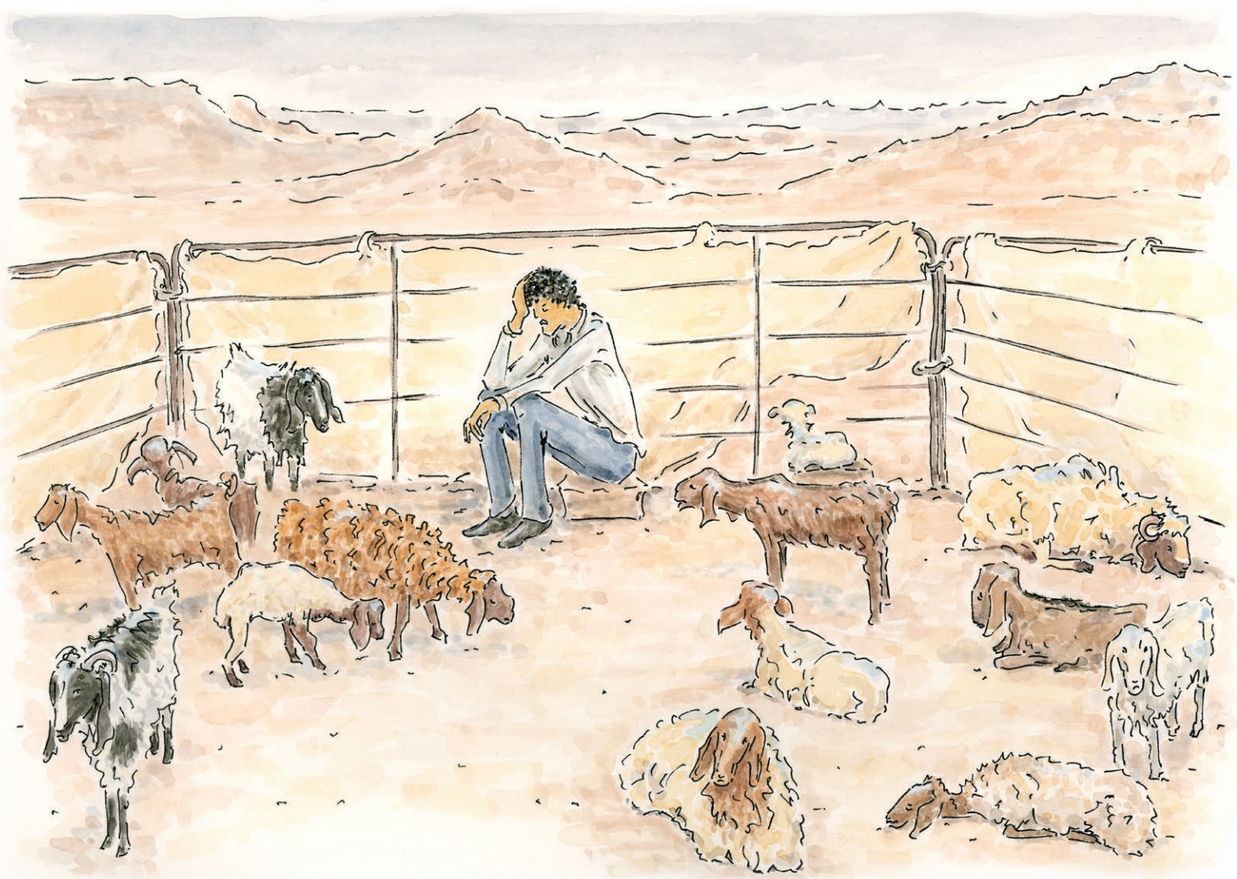

وبعد مدة، كان الابن الأصغر قد أنفق كل أموال ميراثه، وتعرّض البلد الذي يعيش فيه لمجاعة شديدة وأزمة اقتصادية خانقة. وإذ ظنّ أنه لا يستطيع أبدًا العودة إلى بيته، قرر أن يبحث عن عمل، فاستُؤجر ليعمل في الحقول ويرعى الحيوانات.

وبينما كان يطعم الحيوانات، كان يشتهي أن يأكل شيئًا، حتى لو كان طعام الحيوانات نفسها. جلس حزينًا، يفكر في كم أضاع من حياته وخسر كل شيء.

ثم نظر حوله وقال في نفسه:

«إن خدم أبي لديهم طعام أفضل من هذا، بينما أنا هنا أموت جوعًا.»

فقرّر أن يعود إلى بيته، لعلّه يُقبل للعمل خادمًا في بيت أبيه، لأنه فقد كل كرامته ولم يعد يرى نفسه أهلًا لأن يُدعى ابنًا.

وبينما كان يسير في رحلة العودة الطويلة إلى البيت، كان قلبه مثقلًا بأفكارٍ قلِقة: هل سيقبله أبوه من جديد، ولو حتى كخادم؟ وماذا سيقول أهله وأهل القرية عنه؟

وكعادته، كان أبو حسن جالسًا في حديقته يحتسي قهوته في الصباح ويشاهد شروق الشمس. لكن منذ أن رحل ابنه الأصغر، صار وقت خلوته ثقيلاً ومضطربًا؛ كان يشتاق إلى عودة ابنه رغم العار الذي جلبه على العائلة.

وبينما كان يرتشف رشفة أخرى من قهوته، ويتأمل بعيدًا نحو أطراف القرية، لمح من بعيد ملامح ابنه يسير في اتجاه البيت.

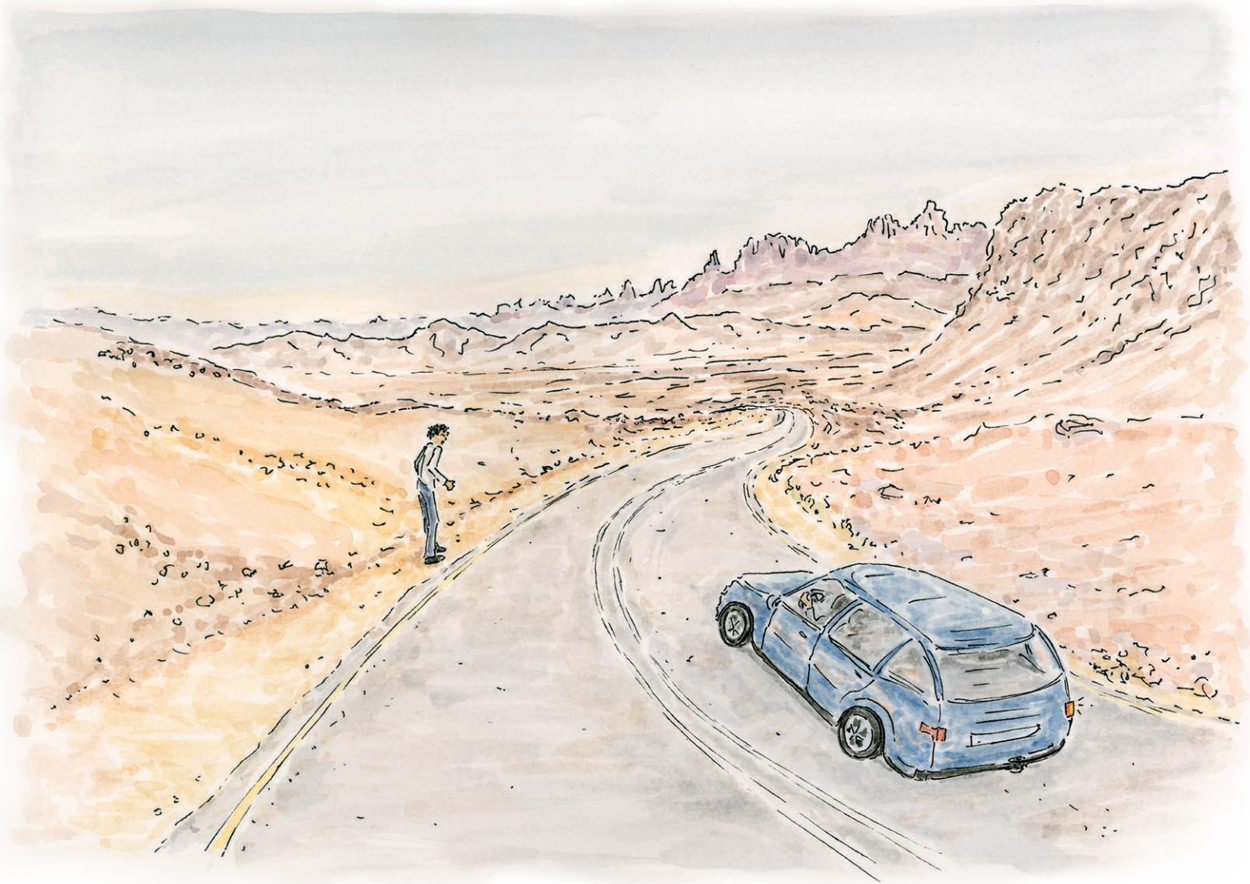

امتلأ قلبه بالشفقة، ودون أن يفكر كثيرًا، ركض منحدرًا من التل، عابرًا الشوارع المزدحمة، متجهًا مباشرة نحو ابنه، واحتضنه وقبّله.

ذهل الابن الأصغر؛ أولًا لأن أباه ركض نحوه أصلًا، ثم لأنه احتضنه بكل هذا الحب علنًا أمام الناس.

امتلأت عيناه بالدموع، وقال بسرعة:

«يا أبي، أخطأتُ إلى السماء وإليك، ولستُ بعدُ مستحقًا أن أُدعى لك ابنًا.»

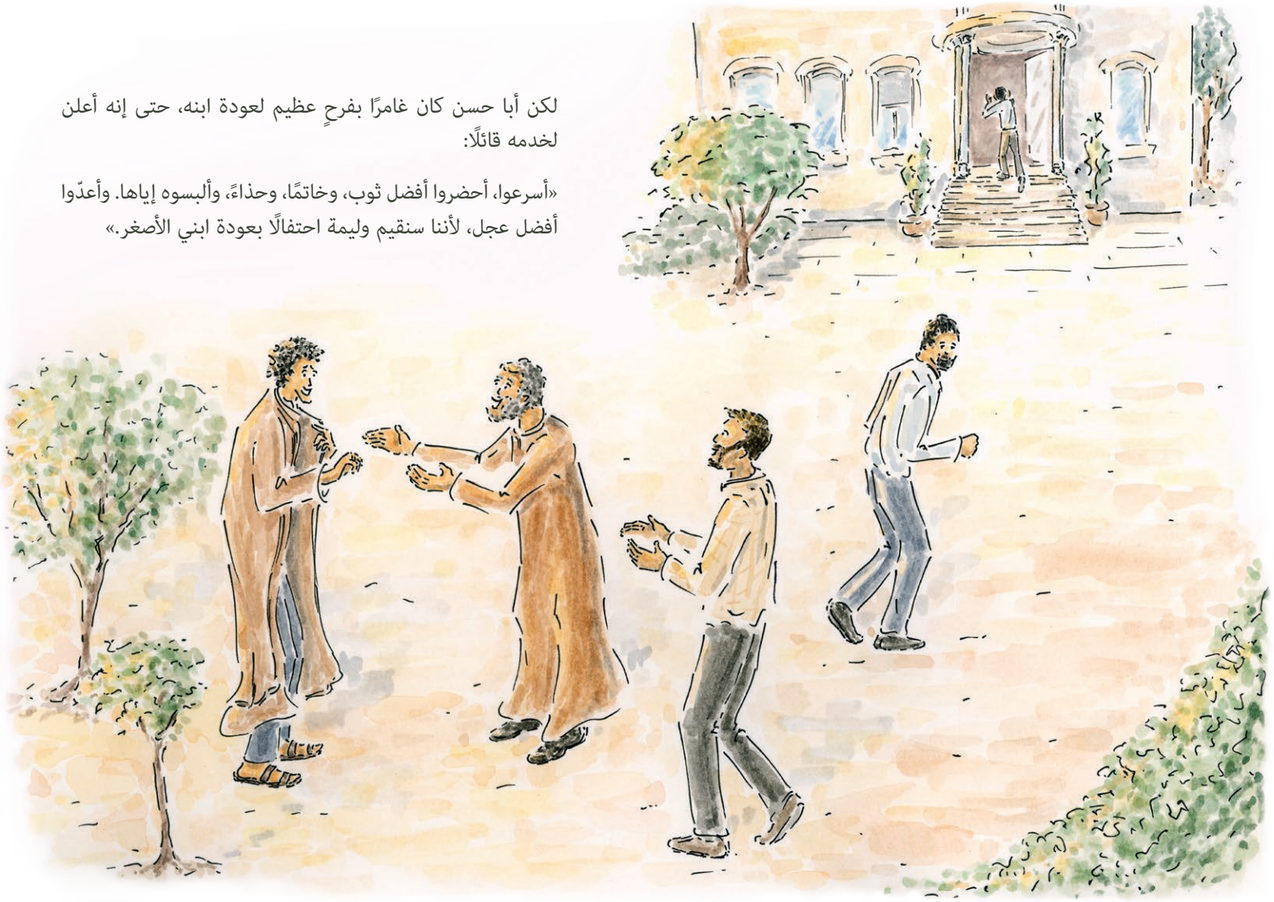

لكن أبا حسن كان غامرًا بفرحٍ عظيم لعودة ابنه، حتى إنه أعلن لخدمه قائلًا:

«أسرعوا، أحضروا أفضل ثوب، وخاتمًا، وحذاءً، وألبسوه إياها. وأعدّوا أفضل عجل، لأننا سنقيم وليمة احتفالًا بعودة ابني الأصغر.»

وأثناء إقامة الاحتفال، عاد الابن الأكبر من عمله في الحقول. وعندما سمع صوت الموسيقى، سأل أحد الخدم عمّا يحدث.

فقال له الخادم:

«لقد عاد أخوك إلى البيت، وذبح أبوك أفضل عجل ليقيم هذه الوليمة احتفالًا بعودته سالمًا.»

فغضب الابن الأكبر غضبًا شديدًا، ورفض أن يدخل إلى الاحتفال ليشارك الجميع الفرح؛ ولم يُرِد أن يحيّي عائلته أو الضيوف.

ولما سمع أبو حسن أن ابنه الأكبر مستاء ولا يريد أن يدخل إلى الاحتفال، ترك مكانه المكرّم بين ضيوفه، وخرج ليتوسّل إليه أن يشارك في الفرح.

لم يقتنع الابن الأكبر بكلام أبي حسن، وقال بغضب:

«انظر! كل هذه السنين وأنا أعمل بجد من أجلك، كأنني عبد، ولم أعصِ لك أمرًا قط. ومع ذلك لم تعطِني حتى ماعز صغيرًا لأحتفل به مع أصدقائي. فكيف ينال هذا ابنك كل هذا التكريم بعد أن بدّد ممتلكاتك؟»

وبدلًا من أن يغضب أبو حسن من ابنه الأكبر بسبب عدم فهمه، نظر إليه بعينين مملوءتين بالشفقة وقال:

«يا بني، أنت وارثي. أنت معي دائمًا، وكل ما لي فهو لك. كان لا بد أن نحتفل بعودة أخيك بعد هذا الغياب الطويل. كنا نظنه ميتًا، فإذا به حيّ. كان ضالًا، وها هو الآن قد وُجد.»

خِيَارٌ مِنِ اثْنَيْنِ

هذه قصة مبنية على مثلٍ رواه السيد المسيح في الكتاب المقدس. ومثل هذين الابنين، يمكننا نحن أيضًا أن نُحزن الله عندما نفعل ما لا يرضيه. أحيانًا نعتقد اننا نهرب من الله ونكسر علاقتنا به مثل الابن الأصغر، أو نظن أن الله غير عادل «حاشا لله» فنفقد ثقتنا به مثل الابن الأكبر.

ومهما كانت حالتنا، فإن الله، من خلال كلمة الله المسيح، ينتظرنا دائما وباب التوبة مفتوح، حتي يغفر لنا كل ذنب، و يشملنا برحمته.

لقد أرسل الله المسيح إلى هذه الأرض ليحمل ثقل معاصينا وليكون الفدية وتتحقق فيه العقوبة الإلهية لكي يموت من أجل ذنوبنا ولنجد الحرية في قيامة يسوع المسيح.

فماذا نفعل عندما تنكشف أمامنا معاصينا وذنوبنا وخوفنا من الحساب، ويقف الله سبحانه برحمة كثيرة ويقبلنا بالرغم من كل الذنوب التي اقترفناها؟

هل نتوب ونقبل فدية الله، أم نتمسّك بالذنوب ونرفض رحمته؟

هل تريد أن تعرف أكثر كيف يمكنك أن تجد الرحمة الكاملة والحرية في يسوع المسيح؟

your.nextstep.is

Originally published in English under the title
The Gracious Father by MediaWorks
Story, Illustration & Layout: MediaWorks
Copyright © 2026 by MediaWorks

Copyright © 2026 for the Arabic edition.
Translation and cultural adaptation into Arabic: Michael Biskales
Translated by permission. All rights reserved.

لم يكن أبو حسن يتوقّع أن يتحوّل وقت قهوته الهادئ في الحديقة إلى انفجارٍ من المشاعر المؤلمة، عندما واجه طلبًا سيغيّر مجرى حياته.

تستعرض قصة الأب المُضَحِّي العلاقة بين أبي حسن وابنيه. فعندما يخيب كلا الابنين أمله ويجلبان له العار، كلٌّ بطريقته الخاصة، يجد أبو حسن نفسه مضطرًا إلى أن يستجيب رغم الانكسار الذي يشعر به من أجل أولاده. ويختار أن يسعى وراءهما بمحبةٍ تكشف عن قلب الله.